﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩﴾

[الكهف: 19]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إعـــلامُ أهـــلِ الكهفِ بالعِبرةِ في أنفُسِهم

لمّا تحدثت الآية السابقة عن الآيات والخوارق الكونية التي أعطاها الله لفتية الكهف لتكون عظة وعبرة لكل من سمع عنهم أو رآهم؛ جاءت هذه الآية لتعطف مشهدًا آخر مِنَ القصَّةِ الَّذي فيهِ عِبرةٌ لأهلِ الكهفِ بأنفُسِهم؛ ليعلَموا ما أكرمَهم اللّهُ بهِ؛ مِنْ حفظِهم عن أنْ تنالَهم أيدي أعدائِهم، ومِنْ إعلامِهم عِلمَ اليقينِ ببعضِ كيفيَّةِ البعثِ؛ فإنَّ علمَهُ عظيمٌ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾: السُّؤالُ: استدعاءُ معرفةٍ أو ما يُؤدّي إلى المعرفةِ؛ كقولِهِ تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ [الإسراء: 85]، واستدعاءُ مالٍ أو ما يُؤدّي إلى المالِ؛ فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان واليد خليقةٌ له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد واللسان خليقةٌ لها إما بوعد أو بردٍّ، وإذا كان السؤال لاستدعاء مال؛ فإنه يتعدى بنفسه أو بـ(من)؛ كقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ [الأحزاب: 53]، وقولِه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 283.

فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: 32]، وتساءَلوا: سألَ بعضُهم بعضًا[1]، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ﴾[2].

2) ﴿لَبِثْتُمْۖ﴾: (لبث) أصلٌ يدلُّ على تمكُّثٍ[3]، واللُّبْثُ: الإقامةُ بالمكانِ، يقالُ: لَبِثَ بالمكانِ: أقامَ بهِ ملازمًا لهُ، قالَ تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14][4]، ومعنى ﴿كَمْ لَبِثْتُمْۖ﴾: أقمتُم[5].

3) ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾: (ورث) أصلانِ يدلُّ أحدُهما على خيرٍ ومالٍ، والآخرُ على لونٍ مِنَ الألوانِ"[6]، ومِنَ الأصلِ الأوَّلِ: الورِقُ بكسرِ الرّاءِ وسكونها؛ وهو اسمٌ للفضَّةِ؛ سواءٌ كانَتْ مضروبةً أم لا[7]، كما في قولِهِ تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾[8].

4) ﴿أَزْكَىٰ﴾: أصلُ الزَّكاةِ: النُّموُّ الحاصلُ عن بركةِ اللّهِ تعالى، ويكونُ ذلكَ في الأمورِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ، يقالُ: زَكا الزَّرعُ يَزْكو، إذا حصلَ منهُ نُموٌّ وبركةٌ، ومنهُ الزَّكاةُ لِما يُخرِجُه الإنسانُ مِنْ حقِّ اللّهِ تعالى في مالِه إلى الفقراءِ، وتسميتُهُ بذلكَ؛ لِما يكونُ فيها مِنْ رجاءِ البركةِ، أو لتزكيةِ النَّفسِ، أو لهُما جميعًا، فإنَّ الخيرينِ موجودانِ فيها[9]، ومعنى: ﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أطيبُ وأحسنُ[10].

5) ﴿بِرِزْقٍ﴾: الرِّزْقُ يقالُ للعطاءِ الجاري تارةً دنيويًّا كانَ أم أُخرويًّا، وللنَّصيبِ تارةً، ولِما يصلُ إلى الجوفِ ويُتغذَّى بهِ تارةً، يقالُ: أعطى السُّلطانُ رِزْقَ الجُندِ، ورُزِقْتُ عِلْمًا، وقالَ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون: 10]، أي: مِنَ المالِ والجاهِ والعِلمِ[11]، وقولُهُ تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ أي: بطعامٍ يُتغذَّى بهِ[12]،

(1) الزبيدي، تاج العروس: (سأل).
(2) معجم ألفاظ القرآن الكريم: (سأل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لبث).
(4) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (لبث).
(5) المراغي، تفسير المراغي: 15/ 130.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورق).
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 446.
(8) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (ورق).
(9) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (زكو).
(10) المراغي، تفسير المراغي: 15/ 130، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 285.
(11) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (رزق).
(12) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 285.

وقيل: عنى به الأغذية، ويمكن أن يُحمل على العموم فيما يؤكل ويلبس ويستعمل.

6) ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: (لطف) "أصلٌ يدلُّ على رِفْقٍ، ويدلُّ على صِغَرٍ في الشَّيءِ"[1]، ويُعبَّرُ باللَّطافةِ واللُّطْفِ عنِ الحركةِ الخفيفةِ، وعن تعاطي الأمورِ الدَّقيقةِ، وقد يُعبَّرُ باللَّطائفِ عمّا لا تُدرِكُهُ الحاسَّةُ[2]، والتلطُّفُ للأمرِ: التَّرفُّقُ لهُ[3]، ومعنى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليترفَّقْ[4]، وليتكلَّفِ اللُّطْفَ في المعاملةِ[5].

7) ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾: الشَّعَرُ معروفٌ، وجمعُهُ: أشعارٌ، ومنهُ استُعيرَ: شَعَرْتُ كذا، أي: علمتُ عِلْمًا في الدِّقَّةِ كإصابةِ الشَّعَرِ، وسُمّيَ الشّاعرُ شاعرًا؛ لفِطْنتِهِ ودِقَّةِ معرفتِهِ[6]، وأشعرتُهُ فشَعَرَ، أي: أدريتُهُ فدَرَى[7]، ومعنى ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: ولا يُعْلِمَنَّ[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنامةُ أهلِ الكهفِ مُدَّةً طويلةً آيةٌ، وإيقاظُهم آيةٌ أخرى

بينت الآية مشهدًا من قدرة الله تعالى على إحياء الموتى من خلال ما أجراه على أصحاب الكهف؛ فقال: كما أرقَدْنا هؤلاءِ الفتيةَ في الكهفِ، وحَفِظْنا أجسامَهم مِنَ البِلى على طولِ الزَّمانِ - بعَثْناهم مِنْ رَقْدتِهم، وأيقَظْناهم مِنْ نومِهم، لنُعرِّفَهم عظيمَ سُلطانِنا، وعجيبَ فعلِنا في خلقِنا، وليزدادوا بصيرةً في إخلاصِ العبادةِ للهِ إذا تبيَّنوا طولَ الزَّمانِ عليهِم وهُم بهيئتِهم حينَ رَقَدوا، ولتكونَ العاقبةُ أنْ يسألَ بعضُهم عن مُدَّةِ لُبْثِهم؛ لأنَّهم استنكروا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لطف).
(2) الراغب، المفردات: (لطف).
(3) الجوهري، الصحاح: (لطف).
(4) معجم ألفاظ القرآن الكريم: (لطف).
(5) المراغي، تفسير المراغي: 15/ 130.
(6) الراغب، المفردات: (شعر).
(7) الجوهري، الصحاح: (شعر).
(8) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 225.

مِنْ أنفُسِهم طولَ رَقْدتِهم، فقالَ بعضُهم: كم لبثْتُم؟ فأجابَ آخرونَ وقالوا: لَبِثْنا يومًا أو بعضَ يوم، وقال آخرون - التبس عليهم الأمر -: فَوِّضوا عِلْم ذلك للّه، فربُّكم أعلم بالوقت الذي مكثتموه في هذا الكهف، وحينَ عَلِموا أنَّ الأمرَ مُلتبِسٌ عليهم عَدَلوا إلى الأهمِّ في أمرِهم؛ وهو احتياجُهم إلى الطَّعامِ والشَّرابِ، فقالوا: فابعثوا بدراهمِكم هذهِ إلى المدينةِ، فليُبصِرْ أيُّ الأطعمةِ أجودُ وألذُّ، فليأتِكم بمقدارٍ منهُ، وليترفَّقْ في دخولِ المدينةِ، وفي شرائِهِ، وفي إيابِهِ منها، ولا يُخبِرَنَّ بمكانِكم أحدًا مِنْ أهلِها[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ الأدب فيمن اشتبه عليه العلمُ أن يردَّه إلى عالمه، وأن يقف عند حدِّه، وإلى جواز أكل الطيبات والمطاعم اللَّذيذة إذا لم تخرج إلى حدِّ الإسراف المنهيِّ عنه، وخصوصًا إذا كان الإنسان لا يلائمُه إلّا الشَّهيَّ منها[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواوِ في ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾:

عـطـف بعـض مشاهد القصَّةِ على ما سبقَ مِنْ أجزائِها

الواوُ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ﴾ عطفٌ لجزءٍ مِنَ القصَّةِ على ما سبقَ من أجزائِها، وفي هذا الجزءِ عِبْرةٌ لأهلِ الكهفِ بأنفُسِهم؛ ليَعلَموا ما أكرمَهم اللّهُ بهِ، مِنْ حفظِهم عن أنْ تنالَهم أيدي أعدائِهم بإهانةٍ، ومِنْ إعلامِهم عِلمَ اليقينِ ببعضِ كيفيَّةِ البعثِ، فإنَّ علمَهُ عظيمٌ[3].

دلالةُ التعبير بالكافِ في قولِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾:

الكافُ للتَّشبيهِ بمذكورٍ سابقٍ

آثر القرآنُ الكريمُ التعبير بالكاف في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ﴾ دون (مثل)؛ لدلالتها على التشبيه بين أمر

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 627، والمراغي، تفسير المراغي: 15/ 131.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 473.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 283.

البعث وما سبق من خوارق العادة في الضرب على آذانهم ونومهم مدة طويلة؛ فكما أنامهم هذه المدةَ الطويلة بعثهم، ولما كان وجهُ الشبه لا يلزم فيه الاتفاق من كل ناحية؛ عبَّر بالكاف دون (مثل).

نكتةُ إيراد اسم الإشارة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

تنوُّع مرجعِ الإشارة وفْق السّياق

عبَّر القرآن الكريم باسم الإشارة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ لتعدد المراد به، إذ اختُلِفَ في مرجعِ الإشارةِ المشبَّهِ بهِ في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: فقيلَ: هو إشارةٌ إلى المصدرِ المفهومِ مِنْ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: 11]، أي: مثلَ جعلِنا إنامتَهم هذهِ المُدَّةَ الطَّويلةَ آيةً جعَلْنا بعثَهم آيةً[1]، ووجهُ الشَّبهِ كونُ كلٍّ منهُما آيةً على قُدرتِهِ الباهرةِ[2].

وقيلَ: هو إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ مِنْ قولِهِ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: 11]، وقولِهِ: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ [الكهف: 13]، وقولِهِ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾، أي: كما فعَلْنا بهِم هذهِ الأشياءَ بعَثْناهم[3].

وقيلَ: هو إشارةٌ إلى حفظِهم، أي: كما حَفِظْناهم طولَ تلكَ المُدَّةِ كذلكَ بعَثْناهم مِنَ الرُّقادِ[4].

ويجوزُ أنْ يكونَ تشبيهُ البعثِ المذكورِ بنفسِهِ؛ للمبالغةِ في التَّعجيبِ[5].

سرُّ تقديمِ المشبَّهِ بهِ في ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾:

للاهتمامِ والحصرِ

الكافُ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ للتَّشبيهِ بمذكورٍ سابقٍ، والمعنى على القولِ برجوعِ الإشارةِ إلى المصدرِ المفهومِ مِنْ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: 11]: بعَثْناهم بعثًا مشابهًا للإنامةِ الطَّويلةِ في المُدَّةِ المديدةِ، ووجهُ الشَّبهِ كونُهما آيةً

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/ 709، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 276، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 155.

(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 83، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 284.

(3) الواحدي، البسيط: 13/ 565، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 445.

(4) النيسابوري، إيجاز البيان: 2/ 516.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 284.

على كمالِ قُدرتِهِ تعالى، فقولُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ صفةٌ للمصدرِ المحذوفِ، وتقديمُ المشبَّهُ بهِ للاهتمامِ، ويحتملُ الحصرَ[1].

علةُ التعبير بالبعث دون غيره:

آثر القرآنُ الكريم التعبيرَ بالبعث في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ دون غيره من المفردات المشابهة؛ للدلالة على أن بعث أصحاب الكهف على هيئة خاصة؛ لأن أبدانهم لم تتغير، بل وثيابهم لم تَبْلَ؛ فكان التعبير بالبعث من أجل توظيف القصة في التدليل على إثبات وقوع البعث يوم القيامة.

توظيف القصة في التدليل على إثبات وقوع البعث يوم القيامة

وفيه إشارة إلى سهولة ويسر بعث أهل الكهف؛ لأنه من باب إيقاظ النائم رغم طول المدة.

بلاغةُ الاستعارةُ في ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾:

المرادُ بالبعثِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾: الإيقاظُ مِنَ النَّومِ، لا البعثُ مِنَ الموتِ[2]، أي: أيقظْناهم مِنْ نومِهم إيقاظَ مفزوعٍ؛ كما يُبعَثُ البعيرُ مِنْ مَبْرَكِهِ، وحُسْنُ هذهِ الاستعارةِ أنَّ المقصودَ مِنْ هذهِ القصَّةِ إثباتُ البعثِ بعدَ الموتِ، فكانَ في ذكرِ لفظِ البعثِ تنبيهٌ على أنَّ في هذهِ الإفاقةِ دليلًا على إمكانِ البعثِ وكيفيَّتِهِ[3].

التَّنبيهُ على إثباتِ البعثِ بعدَ الموتِ

دلالة التعبير بالفعل الماضي: ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾:

دلَّ التعبير بالماضي على تحقق وقوع البعث لفتية أصحاب الكهف، وأنه أمرٌ يسير على الله؛ لأنه هو الذي بدأ الخلق وهو الذي يعيده؛ لذلك يجب على المؤمن الإيمان بالبعث، وألّا يعتريه شكٌّ في ذلك.

(1) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 41.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4507، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 14/ 8861.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 269.

نكتةُ نونِ العظَمةِ في ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾:

تفخيمُ شأنِ البعثِ وتعظيمُه

أُسنِدَ البعثُ إلى اللهِ سبحانَهُ بنونِ العظَمةِ، فقيلَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾؛ لزيادةِ الاعتناءِ بشأنِ هذا البعثِ؛ ببيانِ أنَّهُ صادرٌ عن ذي العظَمةِ والكِبْرياءِ والقُدرةِ التامَّةِ الَّذي لا يُعجِزُهُ شيءٌ جلَّ وتقدَّسَ، والمعنى: بعَثْناهم بما لنا مِنَ العظَمةِ[1].

معنى اللّامِ في قوله: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾:

ثراءُ المعنى المُلتقطِ من الصيرورة أو السَّببية

آثر القرآن الكريم التعبير باللّام في قولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾؛ لتعدد المراد منها؛ فمنهم من قال: إنها لامُ الصَّيرورةِ والعاقبةِ على الرّاجحِ؛ كما في قولِهِ ﷻ: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8]؛ لأنَّ بعثَهم لم يكنْ لنفسِ تساؤلِهم[2]، وإنَّما كانَ لإظهارِ كمالِ قُدرةِ اللهِ تعالى[3]، والمعنى: بعَثْناهم لتكونَ العاقبةُ أنْ يتساءَلوا بينَهم عن المُدَّةِ الَّتي لَبِثوها[4].

ومنهم من قال إنها للسبَبيَّةِ[5]، والمعنى: بعَثْناهم لكي يتساءَلوا بينَهم، وليتناقشوا في مُدَّةِ لُبْثِهم، فما كانوا ليتساءَلوا لو استمرّوا في رُقودِهم[6].

وفيه إشارة إلى أنَّ اللّه تعالى خلق كل شيء لوظيفة وليس سُدًى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56]؛ فبيَّن الوظيفة بأنها العبادة، والشاهد من ذلك أن من عمل عملًا أو فعل فعلًا لغير ما علم أنه يكون؛ فهو عابثٌ أو جاهلٌ بعواقبه، تعالى اللّه عن ذلك علوًا كبيراً[7].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 30.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 505، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 374.
(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 83.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4508.
(5) السمين، الدر المصون: 7/ 462.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4508.
(7) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 151.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾:

عُبِّرَ عن التَّساؤلِ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ حصولَ التساؤلِ أمرٌ مستقبلٌ بالنِّسبةِ لزمانِ حصولِ البعثِ؛ فهُم يُبعَثونَ أوَّلًا، ثمَّ تكونُ العاقبةُ أنْ يسألَ بعضُهم بعضًا عن المُدَّةِ الَّتي لَبِثوها في كهفِهم.

الدلالة على وقوع التَّساؤلِ في المستقبلِ

دلالةُ صيغةِ التفاعلِ في ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾:

تدلُّ صيغةُ التَّفاعلِ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ على وقوعِ التَّشاركِ بينَ الفتيةِ في السُّؤالِ عن مُدَّةِ لُبثِهم، والمعنى: ليسألَ بعضُهم بعضًا[1]، فيترتَّبَ عليهِ ما فُصِّلَ مِنَ الحِكَمِ البالغةِ[2].

إبراز صورة الاشتراك في الحوار فيما بينهم

وفي هذهِ الصّيغةِ دلالةٌ أيضًا على أنَّ هذا التَّساؤلَ في غايةِ الظُّهورِ[3].

سرُّ تسميةِ المحاورةِ تساؤلًا:

سُمِّيَتِ المحاورةُ الَّتي جرَتْ بينَ الفتيةِ تساؤلًا، فقيلَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾؛ لأنَّها تحاورٌ صادرٌ عن تطلُّبِ كلٍّ رأيَ الآخرِ للوصولِ إلى تحقيقِ مُدَّةِ لُبثِهم في الكهفِ، والَّذينَ قالوا: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ﴾ هُم مَنْ عدا الَّذي قالَ: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾[4].

بحث كل منهم عن حقيقة لبثهم في الكهف

دلالة التعبير بالظرفية ﴿بَيۡنَهُمۡۚ﴾:

دل التعبير بقوله: ﴿بَيۡنَهُمۡۚ﴾ في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بإضافةِ الظَّرفِ (بينَ) إلى ضميرِهم، على أنَّ المرادَ التَّساؤلُ عن أخبارٍ تتعلَّقُ بهم، ولا تَعْدوهم، أي: ليتساءَلوا عن أحوالِهم في نومِهم ويقَظتِهم، فيزدادوا إيمانًا وثباتًا ويقينًا؛ بما ينكشفُ لهُم مِنَ

الدلالة على أن السُّؤالَ خاصٌّ بأحوالهم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 627.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 213.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 30.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 284.

الأمورِ العجيبةِ، والأحوال الغريبةِ، فيَعلَموا أنَّهُ لا علمَ لأحدٍ غيرِنا، ولا قُدرةَ لأحدٍ سِوانا، وأنَّ قُدرتَنا تامَّةٌ، وعلمَنا شاملٌ[1].

وجهُ فصلِ قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ﴾:

فُصلت هذه الجملة عما قبلها؛ لأنه لمّا كانَ قولُهُ سبحانَهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ مُحرِّكًا للسّامعِ ومُقتضيًا لِأَنْ يقالَ: ما كانَ تساؤلُهم؟ أُجيبَ بقولِهِ تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾، ففُصِلَ بينَ الجملتينِ؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّ الثانيةَ جوابٌ عن سؤالٍ اقتضَتْهُ الأولى، ففُصِلَتْ عنها كما يُفصَلُ الجوابُ عنِ السُّؤالِ، وهذا الاستئنافُ بيانيٌّ[2].

شِبْهُ كمالِ الاتِّصالِ ما بينَ الجملتينِ

مجيء ﴿قَآئِلٌ﴾ على صيغة اسم الفاعل منكّرًا:

أوثرَ التَّعبيرُ باسمِ الفاعلِ ﴿قَآئِلٌ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾، ولم يُقَلْ: (قالَ أحدُهم)؛ إشارةً إلى أنَّ القائلَ المذكورَ قائلٌ نِحْريرٌ عارفٌ بطريقِ السُّؤالِ والاستدلالِ[3]، وهذا يدلّ على أن هذا القائل استشعر طول لُبْثِهم بما رأى من هيئتهم، أو لغير ذلك من الأمارات[4].

تعزيز مكانة القائل

ويرفُد ذلك ما يدل عليه التّنكير الموصوف من تفخيم هذا القائل وتعظيمه أيضًا، لما يحملُه من سِمَةِ الفكر والملاحظة لهيئتهم الّتي هم عليها.

دلالة التَّعبيرِ بشِبْهِ الجملةِ ﴿مِّنۡهُمۡ﴾:

لمّا ذُكِرَ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أنَّ بعثَهم

تأكيدُ صُدورِ التَّساؤلِ منهُم لا من غيرهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 30.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 213، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 218، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 284.

(3) واستشهد ابنُ عَرفة على ذلك بالعرف من قول العلماء فقال: "كما يقولُ بعضُ العلماءِ في معرضِ تقريرِ المسائلِ: ولقائلٍ أنْ يقولَ كذا، إذا كانَ السُّؤالُ قويًّا"، يُنظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 83.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 31.

سيترتَّبُ عليهِ في العاقبةِ وقوعُ التَّساؤلِ فيما بينَهُم، وعُطِفَ عليهِ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ الآيةَ - أُكِّدَ صُدورُ التَّساؤلِ منهُم بالإتيانِ بالجارِّ والمجرورِ ﴿مِّنْهُمْ﴾؛ دفعًا لِما قد يُتوهَّمُ مِنْ أنَّ السائلَ مِنْ غيرِهم.

غرضُ التعبير بـ ﴿كَمْ﴾ في قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾:

إبـراز عجزهم عـن الإحـاطـة بمدة مكثهم

دلَّ التعبيرُ بقوله: ﴿كَمْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ على إبراز عجزهم عن معرفة المدة التي مكثوها في الكهف، ولاسيما أنَّ بعثهم لم يكن بعد مدة يسيرة، بل كان بعد زمن طويل؛ ظهرت فيه بدائع قدرة السائل على مشاهدته لحالهم التي هم عليها؛ لذلك كان سؤاله بـ ﴿كَمْ﴾ عن مُدَّةِ لُبْثِهم في الكهفِ، أي: كم يومًا أقمتُم نائمينَ؟[1]، وهي منصوبةٌ بالفعلِ الَّذي بعدَها؛ كما في قولِكَ: كم يومًا صُمتَ؟؛ لأنَّ الفعلَ الَّذي بعدَها غيرُ مُشتغِلٍ عنها بضميرِها، وفي مِثلِ ذلكَ تكونُ ﴿كَمْ﴾ مُعرَبةً على حسَبِ اقتضاءِ العاملِ، والمُميِّزُ محذوفٌ تقديرُهُ: كم يومًا لَبِثْتُم؟ حُذِفَ لدلالةِ الجوابِ عليهِ[2].

سرُّ إيثارِ اللُّبْثِ على الرُّقادِ:

اللُّبثُ أعـمُّ من اليقظة والرقاد

عُبِّرَ باللُّبْثِ دونَ الرُّقادِ، في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، ولم يُقَلْ: (كم رقدتُم)؛ لأنَّ الرُّقادَ يقتضي الاستغراقَ في النَّومِ، والمُستغرِقُ لا يدري ما حلَّ بهِ، ولا يعرفُ ما يَحدُثُ، فعُبِّرَ باللُّبْثِ الَّذي هو أعمُّ مِنَ اليقَظةِ والرُّقادِ؛ ليَحسُنَ السُّؤالُ[3].

نكتةُ إسنادِ الجوابِ إلى ضميرِ جماعتِهم:

من باب الموافقة أو التَّوزيعِ

أسند الجوابَ إلى ضميرِ جماعتِهم الذين قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: إمّا لأنَّهم توافقوا عليهِ، وإمّا على إرادةِ التَّوزيعِ، أي:

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 155، والبقاعي، نظم الدرر: 12/ 31.
(2) السمين، الدر المصون: 7/ 462، وزاده، حاشيته على تفسير البيضاويِّ، ص: 458.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 83.

منهُم مَنْ قالَ: لَبِثْنا يومًا، ومنهُم مَنْ قالَ: لَبِثْنا بعضَ يوم، وعلى هذا يجوزُ أنْ تكونَ ﴿أَوْ﴾ للتَّقسيم في القولِ؛ بدليلِ قولِهِ بعدَ ذلكَ: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، أي: لمّا اختلفوا رجعوا فعدلوا عنِ القولِ بالظَّنِّ إلى تفويضِ العلمِ إلى اللهِ سبحانَهُ؛ فالقائلونَ: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: إمّا جميعُهم كما هو الظّاهرُ، وإمّا بعضُهم، وأُسنِدَ إلى جميعِهم؛ لأنَّهم رأَوْهُ صوابًا[1].

سر التعبير بقوله: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ :

جاء التعبير القرآني ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ بناءً على أنهم دخلوا الكهف أول النهار واستيقظوا في آخره؛ أو أنهم قالوا ذلك بناءً على سلامة أبدانهم وثيابهم.

دلالةُ تنكيرِ ﴿يَوْمًا﴾:

التَّنكيرُ للإفرادِ أو التَّقليلِ

نُكِّرَ ﴿يَوْمًا﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ لإفادةِ الإفرادِ بالقصدِ إلى فردٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ، أي: لَبِثْنا يومًا مِنْ أفرادِ الأيّامِ، ويحتملُ التَّقليلَ؛ بأنْ يَعُدّوا مُدَّةَ لُبْثِهم في الكهفِ قليلةً.

سر التعبير بـ ﴿أَوْ﴾ في قولِهِ: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾:

ثراءُ المعنى بين الشكِّ والتفصيل والإضراب

آثر السياقُ الكريم التعبيرَ بـ ﴿أَوْ﴾ دون غيرها في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ لما تحمله من معانٍ متعددة في هذا السياق، حيث اختُلِفَ في معناها على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدُها، وهو الظّاهرُ: أنَّها للشَّكِّ، والمعنى: لم نتحقَّقْ مِقدارَ لُبْثِنا، أي: لا ندري أنَّ مُدَّةَ ذلكَ هل هي مِقدارُ مُدَّةِ يومٍ أو مِقدارُ مُدَّةِ بعضِ يومٍ، والظّاهرُ أنَّهم قالوا ذلكَ؛ لأنَّ أثرَ النَّومِ لم يذهبْ مِنْ بصرِهم وبصيرتِهم[2]، ويجوز أن يكون صدر ذلك منهم لمّا لم يروا في أنفسهم علامات وآثار تدل على طول المكث والمقام.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 284.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 155، والشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 83، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 218.

والثّاني: أنَّها للتَّفصيلِ، أي: قالَ بعضُهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا﴾، وقالَ بعضُهم: (لَبِثْنا بعضَ يومٍ)[1].

والثّالثُ: أنَّها للإضرابِ؛ بأنْ قالوا أوَّلًا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا﴾، ثمَّ عَدَلوا عنهُ إلى: (لَبِثْنا بعضَ يومٍ)[2].

علة قولِ الفتيةِ: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾:

تعليل قولِ الفتيةِ: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: إنَّهم دخلوا الكهفَ غُدْوةً، وبعثَهم اللهُ في آخرِ النَّهارِ، لذلكَ قالوا: ﴿يَوْمًا﴾، فلمّا رأَوُا الشَّمسَ باقيةً قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وكانَ قد بَقيَتْ مِنَ النَّهارِ بقيَّةٌ[3].

دخولُهم الكهفَ كانَ غُدْوةً، وبعثُهم كانَ آخِرَ النَّهارِ

أو لأنَّهم دخلوا الكهفَ غُدْوةً، وانتبهوا ظَهيرةً، وظنّوا أنَّهم في يومِهم أو اليومِ الَّذي بعدَهُ، فقالوا ذلكَ[4].

دلالة التعبير بقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾:

دل التعبير بقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ على أن الفتية كانوا على غير علم بالمدة الحقيقية التي لبثوها؛ لذلك فوَّضوا العلم بها إلى الله ﷻ، ويمكن أن يقال: إنهم لما رأوا الآيات العجيبة التي لا تحتمل أن تكون في يوم أو بعض يوم؛ لعظمها وعلو قدرها، وكلوا الأمر إلى الله تعالى.

التباسُ الأمرِ عليهم دعاهم إلى تفويضِ العِلْمِ لله

غرضُ إبهام القائلِ: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾:

أبهم القرآن الكريم تعيينِ القائلِ: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، وذلك للاختلاف في تعيينه، فقيلَ: هو البعضُ القائلُ أوَّلًا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ فيتَّحدُ قائلُ القولينِ[5].

القصصُ القرآني لا يدقِّق في التفاصيل

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 155، والسمين، الدر المصون: 7/ 426.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 83.
(3) الواحدي، البسيط: 13/ 566، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 445.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 276.
(5) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 84.

وقيلَ: هو بعضٌ آخرُ منهُم، وقد قالوا ذلكَ بما سنحَ لهُم مِنَ الأدلَّةِ، أو بإلهامٍ مِنَ اللهِ ﷻ، وفيه إشارة إلى موافقتهم ورضاهم بهذا القول.

دلالة فصل جملة قوله: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾:

فصلت هذه الجملة عمّا قبلها؛ لأنها استئنافية، والاستئنافُ في الحكايةِ، والخطابُ في المحكيِّ يَقضي بأنَّ الكلامَ جارٍ على سبيلِ المحاورةِ والمجاوبةِ؛ لذلك فصلت لأنها من المحاورات.

سرُّ اختيارِ صفةِ الرُّبوبيَّةِ في قولِهم: ﴿رَبُّكُمْ﴾:

الإشـــارةُ إلى معاني الرِّعايةِ والإحسانِ

عُبِّرَ بصفةِ الرُّبوبيَّةِ في قولِهم: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، ولم يقولوا مثلًا: (اللهُ أعلمُ بما لَبِثْتُم)؛ لِما تُشيرُ إليهِ الرُّبوبيَّةُ مِنْ معاني الرِّعايةِ والإحسانِ[1]، والمعنى: قالوا: ربُّكم المُحسِنُ إليكُم المُتفضِّلُ عليكُم بالنِّعَمِ والحفظِ والكَلاءَةِ أعلمُ بمُدَّةِ لُبْثِكم في الكهفِ؛ لأنَّهُ المحيطُ علمُهُ بكلِّ شيءٍ، الَّذي لا تخفى عليهِ خافيةٌ.

دلالة الإضافةِ في قوله: ﴿رَبُّكُمْ﴾:

تشريفُ الفتيةِ وإعلاء قدرهم

أُضيفَ الفتيةُ إلى لفظِ (الرَّبِّ) في قولِهِ تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾؛ تشريفًا لهُم، وإيذانًا بأنَّهم لا يزالونَ في كَنَفِ الإنعامِ والإحسانِ، وأنَّهم مُفوِّضونَ جميعَ أمورِهم إلى العالِمِ بكلِّ شيءٍ، ومِنْ جملةِ معلوماتِهِ علمُهُ بمدَّةِ لُبْثِهم في الكهفِ.

نكتةُ تفويضِ العلم بمُدَّةِ لُبْثِهم إلى اللهِ تعالى:

حُسْنُ الأدبِ في التصويب

بعدَما وقعَ الاختلافُ بينَ الفتيةِ في مُدَّةِ لُبْثِهم في الكهفِ هل هي يومٌ أو بعضُ يوم، وتكلَّموا بناءً على ما تبادرَ إلى أذهانِهم في أوَّلِ الأمرِ - قالَ بعضُهم: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، فأحالوا العلمَ إلى اللهِ تعالى، أي: أنتُم لا تعلمونَ مُدَّةَ لُبْثِكم، وإنَّما يعلمُها اللهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 32.

سبحانَهُ، وهذا ردٌّ منهُم على الأوَّلينَ بأجملِ ما يكونُ مِنْ مراعاةِ حُسْنِ الأدبِ[1]، فقد أبانوا عن خطئِهم دونَ أنْ يُصرِّحوا بالتَّخطئةِ.

سر اختيار صيغة (أفعلَ) في مقام العلم:

احتمالُ صيغةِ (أفعلَ) في هذا المقامِ للتَّفضيلِ وعدمِهِ

آثر القرآن الكريم التعبير بصيغة (أفعلَ) في قولِهِ تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾؛ وذلك لاحتمالها معنى التفضيل وعدمه على قولين:

أحدُهما: أنَّها للتَّفضيلِ، والمُفضَّلُ عليهِ محذوفٌ، والمعنى: ربُّكم أعلمُ مِنْ كلِّ أحدٍ[2]، وفي هذا إشارة إلى أن القرآن أثبت لهم بعض العلم.

والثّاني: أنَّها بمعنى أصلِ الفعلِ دونَ الزّيادةِ، فلا توجِبُ العلمَ لأحدٍ، فتكونُ مسلوبةَ التفضيلِ، والمعنى: ربُّكم عالمٌ بما لبثتُم[3]، وعلى هذا سَلَب عنهم صفة العلم؛ لأن ما قالوه مبنيٌّ على التخمين والظن وليس على دليل.

المعاني المحتملة في التعبير بـ(ما) في الآية:

ثراءُ المعنى الناتج عن المصدريةِ، والصفةِ، والموصولية

آثر القرآن الكريم التعبير بـ ﴿بِمَا﴾ دون غيرها في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾؛ لأنها تحتمل أن تكون مصدريَّة، أي: (ربُّكم أعلمُ بمُدَّةِ لُبْثِكم)، وتحتمل أن تكون موصوفةً، والمعنى: (ربُّكم أعلمُ بمُدَّةٍ لَبِثْتُموها)، وتحتمل أنَّها موصولةٌ، والمعنى: (أعلم بالمُدَّةِ الَّتي لَبِثْتُموها)[4]، ولا تعارض بين هذه المعاني؛ لأن السياق يحتملها.

علةُ تكرارِ فعلِ اللُّبْثِ:

بيان محط الاهتمام وإظهار خوارق العادات في قصتهم

تكرَّرَ في الآيةِ ذكرُ فعلِ اللُّبْثِ أكثرَ مِنْ مرَّةٍ لإفادةِ التَّحيُّرِ والدَّهَشِ مِنْ مدَّتِهِ، وبيانِ أنَّه مَحَطُّ الاهتمامِ وأصلُ الإعجازِ في قصَّتِهم؛

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 213.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 32.
(3) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 42.
(4) اطفيش، تفسير اطفيش: 5/ 334.

لأنَّها غيرُ مألوفةٍ؛ فقيلَ أوَّلًا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، ثمَّ قيلَ: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ثمَّ قيلَ: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، وفي هذا التكرار عناية بالحدث وبيان أهميته.

سر التعبير بالفاءِ في قولِهِ: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾:

ثراءُ المعنى المأخوذ من السببية، أو الفصيحة، أو التفريعية

آثر القرآن الكريم التعبير بالفاء دون غيرها في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾، وذلك لتعدد معناها؛ فمنهم من قال إنَّها للسببيَّةِ، أي أنَّهُ تسبَّبَ عن إسنادِ العلم إلى اللهِ تعالى أنْ يقالَ: اتركوا الخَوْضَ في هذا، واشتَغِلوا بما ينفعُكم؛ بأنْ تبعَثوا أحدَكم بورِقِكم هذهِ إلى المدينةِ[1].

ومنهم من قال إنَّها للإفصاحِ عن شرطٍ مُقدَّرٍ تقديرُهُ: إنْ كنتُم لا تعلمونَ كم لَبِثْتُم فاشغَلوا أنفُسَكم بأنفُسِكم، واطلُبوا غذاءً لكُم[2].

ومنهم من قال إنَّها للتَّفريعِ، وتفريعُ قولِهم: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ على ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾؛ لأنَّهُ في معنى: فدَعوا الخَوْضَ في مُدَّةِ اللُّبْثِ، فلا يَعلَمُها إلا اللهُ، وخُذوا في شيءٍ آخرَ ممّا يُهِمُّكم[3].

بلاغةُ الأسلوب الحكيم:

في قولِه ﷻ: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ نوعٌ لطيفٌ مِنَ الانتقالِ؛ وهو الأسلوبُ الحكيمُ؛ وهو تلقّي السائلِ بغيرِ ما يتطلَّبُ؛ تنبيهًا على أنَّ غيرَهُ أَولى بحالِهِ، كأنَّهم قالوا: ربُّكم أعلمُ بمُدَّةِ لُبْثِكم، لا طريقَ لكُم إلى علمِها، فخُذوا في شيءٍ آخرَ ممّا يُهِمُّكم؛ وهو الإتيانُ بطعامٍ لكُم[4]، وهو فنٌّ بلاغيٌّ يُثري النص ويُعطيه عمقًا وجمالًا.

في الآيةِ ضربٌ لطيفٌ مِنَ الانتقالِ والتَّناسبِ؛ وهو الأسلوبُ الحكيمُ

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/ 710، والبقاعي، نظم الدرر: 12/ 32.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4508.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 285.
(4) الزمخشري، الكشاف: 2/ 710، والطيبي، فتوح الغيب: 9/ 430، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 284.

سر التعبير بقوله: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ﴾:

المقامُ يناسبه السرعة المأخوذة من البعث

آثر السياقُ التعبير بالبعث في قوله: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ﴾ دون (أرسلوا)؛ لأن البعث يختلف عن معنى الإرسال في التنبيه والإيقاظ والإثارة، بخلاف الإرسال فهو مبنيٌّ على التأنى وعدم السرعة، والمناسب في هذا المشهد هو التعبير بالبعث؛ لأنهم لمّا أيقظهم الله تعالى وعادوا إلى حياة البشرية احتاجوا إلى الطعام لسدِّ جوعهم، وهذا يناسبه السرعة المأخوذة من البعث.

نوعُ التَّغليبِ في ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ﴾:

تغليبُ المخاطَبِ على المتكلِّمِ

في قولِهِ ﷻ: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ تغليبٌ؛ لأنَّ الظّاهرَ أنَّ المتكلِّمَ داخلٌ في الخطابِ على سبيلِ التَّغليبِ[1].

سرُّ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿أَحَدَكُم﴾:

دفع إيهامِ إرادةِ سيِّد الفتية وكبيرهم

آثر التعبير القرآني اصطفاء لفظ ﴿أَحَدَكُم﴾ في قوله: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ﴾ دون أن يقول: (فابعثوا واحدَكم)؛ لإيهامِهِ إرادةَ: (فابعثوا سيِّدَكم)، فكثيرًا ما يقالُ: (جاءَ واحدُ القومِ)، ويُرادُ: جاءَ سيِّدُهم[2].

معنى الباءِ في قولِهِ ﷻ: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾:

الملابَسةُ دالّةٌ على الاقتران والمصاحبة

الباء في ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾ في قولُهُ جلَّ وعزَّ: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾؛ للملابسة، المفيدة للاقتران والمصاحبة، أي: فابعَثوا أحدَكم مُصاحِبًا لورِقِكم وملتبِسًا بها[3].

وفيه إشارة إلى أن التزود في حال الخروج لا ينافي التوكل على الله، كما فعل أصحاب الكهف بحمل دراهم الفضة معهم.

(1) ابن التمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 43.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 219.
(3) السمين، الدر المصون: 7/ 462.

سرُّ الإشارةِ إلى الورقِ بـ ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾:

الإشارةُ إلى حاضرٍ معيَّنٍ

دل التعبير باسم الإشارة ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ مع أن السياق في ظاهره قد يستغنى عنها بأن يقال: (فابعثوا أحدكم بورقكم إلى المدينة)، على أن الفتيةَ قد استصحبوا حينَ خرجوا فارّينَ دراهمَ لنفقتِهم، وكانَتْ حاضرةً عندَهم عندَ الأمرِ بالبعثِ إلى المدينةِ، فلهذا أشاروا إليها إشارةَ الحاضرِ القريبِ بقولِهم: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾[1]، وكأنَّ القائلَ ناولَها بعضَ أصحابِهِ؛ ليشتريَ بها قوتَ يومِهم ذلكَ[2].

دلالةُ إضافة الورق للجماعة:

جوازُ الوكالةِ وصحَّتُها

أضاف القرآن الكريم الورِقَ إلى الجماعة في قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ﴾، مع أن القائل لا شكَّ أنَّهُ كانَ لهُ فيهِ نصيبٌ، فدلَّ ذلكَ على جوازِ الوكالةِ، وأنَّها ليسَتْ بمُبدَّعةٍ، بل كانَتْ في القرونِ الماضيةِ، وهي متوارَثةٌ[3].

ويدلُّ أيضًا على جوازِ خَلْطِ دراهمِ الجماعةِ والشِّراءِ بها والأكلِ مِنَ الطَّعامِ الَّذي بينَهم بالشِّركةِ وإنْ تفاوتوا في الأكلِ[4].

وتدلُّ على أنَّ السَّعيَ في إمساكِ الزّادِ أمرٌ مُهِمٌّ مشروعٌ، وأنَّهُ لا يُبطِلُ التَّوكُّلَ[5].

علةُ التعبير بالمدينة دون القرية:

الإشارةُ إلى المِصْرِ الجامعِ المحصَّن

جاء التعبير القرآني بلفظ المدينة في قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ دون القرية؛ لوجود فرق بينهما مع اشتراكهما في المعنى العام من البنيان العُمراني؛ إلا أن القرية تطلق

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 156، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 285.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 214.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 152، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 506.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 220.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 446.

على الموضع الذي يجتمع فيه الناس مع كثرتهم؛ أخذًا من قَرَيت الماءَ في الحوض، إذا جمعتَه، ويقال: قَرَيت الضيف، جمعتُ له ما أكرمه به، والمراد الجمع بكثرة؛ أما المدينة فهي تحمل معاني التمدن والحضارة، كما حكى القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام: ﴿*وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [يوسف: 30] ... ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾ [يوسف: 31] إلى آخر مظاهر الحضارة المذكورة في هذه القصة، وهذا ما ينطبق على المدينة التي كان فيها فتية الكهف.

نكتةُ تعريفِ ﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾:

بيانُ مدينتِهم المعهودةِ الَّتي خرجوا منها

تعريفُ ﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ للعهدِ، والمرادُ بها: مدينتُهم الَّتي خرجوا منها، قيلَ: وتُسمَّى الآنَ طرسوسَ، وكانَ اسمُها يومَ خرجوا منها أفسوسَ[1]، والمعنى: فابعَثوا أحدَكم إلى مدينتِكم المعهودةِ الَّتي فرَرْتُم منها؛ ليأتيَ بما تحتاجون إليه من الطعام.

معنى الفاءِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَلۡيَنظُرۡ﴾:

ترتب النظر على البعث

الفاءُ في ﴿فَلۡيَنظُرۡ﴾ مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ للعطفِ[2]، حيث عُطفت هذه الجملة على قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾؛ لما بينهما من اتصال في المعنى؛ لأن النظر مترتب على البعث في قوله: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾.

دلالة اللام في قوله: ﴿فَلۡيَنظُرۡ﴾:

الأمـرُ دالٌّ على ترابط الفتية

اللّامُ للأمرِ في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرۡ﴾، وفيه إشارةٌ إلى وجود قيادة لهذه الفتية أخذًا من قوله قبل ذلك ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ﴾، ومن قوله: ﴿فَلۡيَنظُرۡ﴾، ولعل هذا يكون بحكم أن الجماعة لابد وأن تؤمِّر لها أميرًا يَسوسُ أمرَها وينظِّم أحوالَها.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 627، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 156، والآلوسي، روح لمعاني: 8/ 219.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4509.

سرُّ التعبير بالنظر في قوله: ﴿فَلْيَنظُرْ﴾:

الجمعُ بين إعمال النظر والإدراك الحسن

آثر القرآن التعبير بالنَّظر دون غيره في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ﴾؛ لأنه يحتمل أكثر من معنى؛ فيجوزُ أنْ يكونَ مِنْ نظرِ العينِ، ويجوزُ أنْ يكونَ مِنْ نظرِ القلبِ[1]، والمعنى: ليتخيَّرْ ما هو أزكى نَماءً وأطيَب طعامًا[2]، وفي التعبير به إشارة إلى أخذ الأسباب في اختيار أجود الطعام.

نكتةُ التعبير بـ(أيّ) في قوله: ﴿أَيُّهَآ﴾ ومرجع الضمير فيها:

ثراءُ المعنى بين الاستفهامية أو الموصولة

آثر القرآن الكريم التعبير بـ(أيّ) في قوله: ﴿أَيُّهَآ﴾ دون غيرها؛ لتعدد المراد بها؛ فيجوز أنْ تكونَ استفهاميَّةً، ويجوز أنْ تكونَ موصولةً[3]، واختُلِفَ في مرجعِ الضَّميرِ فيها:

فقيلَ، وهو الظاهرُ: الكلامُ على تقديرِ حذفِ مضافٍ، أي: فلينظُرْ أيُّ أهلِها أزكى طعامًا[4]، وتقديرُ المضافِ لأنَّ (أيًّا) يدخلُ على متعدِّدٍ، والمدينةُ واحدةٌ، وأهلُ المدينةِ متعدِّدٌ[5].

وقيلَ: الضَّميرُ للمدينةِ مرادًا بها أهلُها مجازًا.

وقيلَ: الضَّميرُ راجعٌ إلى ما يُفهَمُ مِنْ سياقِ الكلامِ، كأنَّهُ قيلَ: (أيُّ المآكلِ أزكى طعامًا)[6].

وقيلَ: ﴿أَيُّهَآ﴾ يَصدُقُ على أيِّ مكانٍ مِنَ المدينةِ؛ لأنَّ المدينةَ كلٌّ لهُ أجزاءٌ كثيرةٌ، منها دكاكينُ الباعةِ، أي: فليَنظُرْ أيُّ مكانٍ منها هو أزكى طعامًا[7].

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 156.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4509.
(3) السمين، الدر المصون: 7/ 464.
(4) الزمخشري، الكشاف: 2/ 710، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 276، والشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 84.
(5) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 44.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 156، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 220.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 285.

سر التعبير بـ ﴿أَزۡكَىٰ﴾ دون أفضل في الآية:

تضمُّن لفظِ التزكية معان متعددة

اصطفى القرآن الكريم التعبير بالتزكية في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾، دون أفضل، لما يحمله لفظ التزكية من معان متعددة؛ فيطلق على الحلال، ويكون المعنى: أَحَلَّ طعاماً؛ لأن بعض أهل تلك المدينة كانوا يذبحون للأصنام وباسم الأوثان التي كانوا يعبدونها، ويطلق على أطيب الطعام وأجوده؛ لأن الطعام الطيب أزيد للعقول وأصلح للنفوس، ويجوز أن يكون المراد به الأرخص والأكثر؛ لأنهم في مكان لا يدرون متى الخروج منه؛ فطلبوا الأكثر لشدة حاجتهم إليه، ويكفي وقت مقامهم إذا طال[1].

غرضُ التَّعبيرِ بأفعلِ التَّفضيلِ ﴿أَزۡكَىٰ﴾:

حرصُ الفتيةِ على تزكيةِ طعامِهم واختيارِ أطيبِهِ وأطهرِهِ

آثر القرآن الكريم التعبير بقوله: ﴿أَزۡكَىٰ﴾ على وزن أفعل التفضيل دون (زكي)؛ للدلالة على أن الفتية يطلبون مع شدة جوعهم أطيب الطعام وأجوده، ولم يقبلوا بمطلق الطعام، بل كانوا حريصينَ على تزكيةِ طعامِهم، واختيارِ أطيبِهِ وأطهرِهِ وأبعدِهِ عنِ الحرام[2]، فعبَّروا باسم التَّفضيلِ، وقالوا: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾.

وجهُ التعبير بالطعام دون الغذاء:

المرادُ الطعام المُعَدُّ جاهز التناول

آثر السياقُ التعبير بالطعام في قوله: ﴿أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ دون الغذاء؛ لأن الطعام يطلق على ما تمَّ إعداده ليكون جاهزًا للتناول، وعند تركه يفسد سريعًا، في حين أن الغذاء قد يكون جافًّا فيتحمل التخزين مدة من الزمان، كما في ادخار الحَبِّ في السنابل، ومما يؤكد ذلك أن القرآن الكريم يستخدم التعبير بالإطعام في الكفارات، دون الغذاء؛ تلبية لحاجة الفقير.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 152.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 14/ 8863.

معنى الفاءِ في ﴿فَلْيَأْتِكُم﴾:

إدخالُ الإتيانِ بالرِّزقِ في حيِّزِ المأمورِ بِهِ

الفاءُ في قولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على جملةِ: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾، أي: ليتخيَّرْ ما هو أزكى وأطيبُ طعامًا، فليأتِكُم بقَدْرٍ منهُ يكفيكُم[1].

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ (الرِّزقِ) في الآية:

مراعاةُ معنى الانتفاعِ فيه

اختيرَ لفظُ الرِّزقِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾؛ لأنه يدل على الانتفاع، وفي هذا إشارة إلى العموم من ناحية، ومن ناحية أخرى إلى تحديد نوع الطعام؛ فهو مأتيٌّ به للانتفاع.

ومما يُذكر في سرِّ التعبير أيضًا أنَّ لفظ الرزق مجاز مرسَلٌ باعتبار ما يؤول إليه، والمعنى: فليأتِكم بطعام تأكلونَهُ[2]؛ لأنَّ إطلاقَ الرِّزقِ على الطَّعامِ باعتبارِ ما يَؤولُ إليهِ إنْ فُسِّرَ بما يَسوقُهُ اللهُ تعالى إلى الحيوانِ يأكلُهُ[3].

نكتةُ تنكيرِ ﴿بِرِزْقٍ﴾:

القَدْرُ اليسيرِ مِنَ الطَّعامِ الحلالِ يكفي الفتية

لمّا كانَ غرضُ الفتيةِ مِنْ إرسالِ أحدِهم إلى المدينةِ هو النَّظرَ في أنواعِ الطَّعامِ، واختيارَ أطيبِهِ وأطهرِهِ وأبعدِهِ عنِ الحرامِ، ولم يُريدوا مِنْ ذلكَ إلا القدرَ الذي يدفعُ غائلةَ الجوعِ عن أنفُسِهم بعدَ الإيقاظِ دلَّ على ذلكَ تنكيرُ الرِّزقِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾، والمعنى: فليأتِكم بعدَ النَّظرِ في أطهرِ الطَّعامِ بقدرٍ يسيرٍ منهُ على قَدْرِ حاجتِكم.

والتعبير بـ ﴿مِّنْهُ﴾ في جملة: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾؛ للتبعيض، وهو مزيد إيضاح لكفاية القليل من الطعام، أو للابتداءِ[4].

---

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4509.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 639.
(3) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 45.
(4) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 45.

نكتةُ التَّعبيرِ بالتلطف في الفعل:

المبالغةُ في طلبِ التَّلطُّفِ في التَّخفّي

عبر القرآن الكريم بالتلطف دون اللُّطف في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ للدلالة على بذل الجهد في إظهارِ أمر التلطف وتكلُّفِه[1]، ويظهر ذلك المعنى من جانبين:

أحدُهما: وليتكلَّفِ اللُّطْفَ فيما يُباشرُهُ مِنْ أمرِ المبايعةِ؛ حتى لا يُغبَنَ[2]، وعلى هذا الوجهِ يكونُ النَّهيُ في قولِهِ: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ للتَّأسيسِ[3].

ثانيهما: وليتكلَّفِ اللُّطْفَ في أمرِ التَّخفّي؛ حتَّى لا يُعرَفَ[4]، وهذا أظهرُ[5]؛ لأنَّهُ يناسبُهُ قولُهُ: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾، وعلى هذا الوجهِ يكونَ النَّهيُ في قولِهِ: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ تأكيدًا للأمرِ بالتَّلطُّفِ[6].

دلالة إبهام المأمورِ في قولِهِ: ﴿فَلْيَأْتِكُم﴾ و﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾:

احتمالُ تعيينه وعدمه

لم يُعَيَّن المأمور في قوله: ﴿فَلْيَأْتِكُم﴾ و﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ لاحتمال أنْ يكونَ الأمرُ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَلْيَأْتِكُم﴾ و﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ لأحدٍ غيرِ مُعيَّنٍ سيوكِّلونَهُ، أي: إنْ تبعَثوهُ يأتِكم برزقٍ، ويحتملُ أنْ يكونَ المأمورُ مُعيَّنًا بينَهم، والإجمالُ في حكايةِ كلامِهم لا في الكلامِ المحكيِّ، وعلى الوجهينِ فهُم مأمورونَ بأنْ يوصوهُ بالإتيانِ والتَّلطُّفِ[7].

معنى الواوِ في ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ و﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾:

الواوُ عاطفةٌ لإدخالِ التَّلطُّفِ وعدمِ الإشعارِ في حيِّزِ المأمورِ بهِ

ولمّا انعقدَ أمرُ الفتيةِ على بعثِ أحدِهم بدراهمِهم إلى المدينةِ؛ ليشتريَ لهُم طعامًا يأكلونَهُ أَمَروا بالتَّلطُّفِ في التخفّي، وعدمِ إعلامِ

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 84.
(2) الزمخشري، الكشاف: 2/ 710، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 276.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 214.
(4) الزمخشري، الكشاف: 2/ 710، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 276.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 156.
(6) صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 8/ 28.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 285.

أحدٍ بأمرِهم؛ لئلا يُفتضحَ، فالواوُ في ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ و﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ للعطفِ وإدخالِ هذينِ الأمرينِ في حيِّزِ المأمورِ بهِ.

بلاغةُ المجاز في ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾:

التَّركيبُ محتملٌ للمجازِ المُرسَلِ والكنايةِ

قولُهُ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ معناهُ: ولا يَفعَلَنَّ ما يُؤدّي مِنْ غيرِ قصدٍ منهُ إلى الشُّعورِ بنا، فسُمّيَ ذلكَ إشعارًا منهُ بهِم؛ لأنَّهُ سببٌ فيهِ[1]، فيكونُ مِنْ بابِ ذكرِ المُسبَّبِ وإرادةِ السَّببِ مجازًا مُرسَلًا أو كنايةً؛ إذِ الإشعارُ يتحقَّقُ لا محالةَ إنْ فعلَ ما يُؤدّي إليهِ، فلا مَساغَ لنهيِ الإشعارِ بلا نهيٍ عن سببِهِ، فيكونُ المرادُ نهيَهُ عنِ السَّببِ، وذلكَ يستلزمُ النَّهيَ عنِ المُسبَّبِ[2].

سر التعبير بنفي الشعور دون نفي العلم في قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾:

المناسبُ نفيُ الشعورِ حتى لا يتعرضَ الفتيةُ للإيذاء

آثر التعبير بنفي الشعور في قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ دون (ولا يعلمنَّ)؛ لوجود فرق بينهما؛ فالشعور هو ابتداء العلم من جهة الحواس؛ بخلاف العلم: فهو اعتقاد الشيء على سبيل الثقة، والمناسب هنا هو نفي الشعور حتى لا يتعرضوا للإيذاء من أهل المدينة، فاحتاطوا لذلك بنفي الشعور.

علةُ توكيدِ الفعلِ ﴿يُشْعِرَنَّ﴾ بنونِ التَّوكيدِ الثَّقيلةِ:

شِدَّةُ حرصِ الفتيةِ على عدمِ الاطِّلاعِ على أمرِهم

ولمّا كانَ حرصُ الفتيةِ على إخفاءِ أمرِهم شديدًا، بالغوا في النَّهيِ عن عدمِ الإعلامِ بهِم، وذلكَ مِنْ خلالِ توكيدِ النَّهيِ بالنّونِ الثَّقيلةِ، فقالوا: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾؛ تحذيرًا مِنْ عواقبِ الاطِّلاعِ عليهِم المُضمَّنةِ في جملةِ: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ الواقعةِ تعليلًا للنَّهيِ، وبيانًا لوجهِ توكيدِ النَّهيِ بالنّونِ[3].

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/ 711، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 156.
(2) ابن التمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 45.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 286.

نكتةُ تعليقِ ﴿بِكُمْ﴾ بـ ﴿يُشْعِرَنَّ﴾:

عُمومُ أحوالِ الفتيةِ المنهيِّ عنِ الإطلاعِ عليها

قولُهُ: ﴿بِكُمْ﴾ مُتعلِّقٌ بـ ﴿يُشْعِرَنَّ﴾، فمدخولُ الباءِ هو المشعورُ، أي: المعلومُ، والمعلومُ إنَّما يكونُ معنىً مِنَ المعاني، فتعلُّقُ الضَّميرِ المجرورِ بفعلِ ﴿يُشْعِرَنَّ﴾ مِنْ قَبيلِ تعليقِ الحكمِ بالذّاتِ، والمرادُ بعضُ أحوالِها، والتقديرُ: (ولا يُخبِرنَّ بوجودِكم أحدًا)، فيكونُ في الكلامِ مضافٌ محذوفٌ، فيشملُ جميعَ أحوالِهم مِنْ عددِهم ومكانِهم وغيرِ ذلكَ[1].

علَّةُ تقديمِ ﴿بِكُمْ﴾ على ﴿أَحَدًا﴾:

تعجيلُ المَسرَّةِ بعدمِ الإشعارِ بهِم، ومراعاةُ الفاصلةِ

ولشِدَّةِ توقّي الفتيةِ مِنَ الاطِّلاعِ على شأنِهم بالغوا في توصيةِ المبعوثِ إلى المدينةِ بأخذِ الحيطةِ والحَذَرِ، فأمروهُ أوَّلًا بالتَّلطُّفِ في التَّخفّي، ثمَّ نهَوْهُ نهيًا مُؤكَّدًا عنِ الإشعارِ بأمرِهم، وقدَّموا الضَّميرَ المجرورَ العائدَ إليهم على المفعولِ، فقالوا: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾؛ لإفادةِ تعجيلِ المَسرَّةِ بعدمِ الإشعارِ بهِم، إضافةً إلى ما يترتَّبُ على هذا التَّقديمِ مِنْ مراعاةِ الفاصلةِ.

سرُّ تنكيرِ ﴿أَحَدًا﴾:

إفادةُ العُمومِ

لمّا كانَ مقامُ الفتيةِ مقامَ حَذَرٍ شديدٍ وخوفٍ مِنِ افتضاحِ أمرِهم، ونهَوا المبعوثَ إلى المدينةِ عنِ الإعلامِ بأمرِهم - ناسبَ أنْ يكونَ تنكيرُ ﴿أَحَدًا﴾ في ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ للعُمومِ؛ لأنَّهُ نكرةٌ في سياقِ النَّهيِ، كأنَّهُ قيلَ: (ولا يُشعِرنَّ بكُم جميعَ النّاسِ)[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البعثُ والإرسالُ:

البعثُ فيهِ تنبيهٌ وإيقاظٌ، والإرسالُ فيهِ رِفقٌ ورحمةٌ غالبًا

قيلَ في الفرقِ بينَ البعثِ والإرسالِ عدَّةُ أقوالٍ:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 286.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 286.

منها: أنَّ الإرسالَ لا يكونُ إلا برسالةٍ وما يَجْري مَجْراها، وأمّا البعثُ فيجوزُ دونَ ذلكَ[1].

ومنها: أنَّ الاستعمالَ القرآنيَّ لكلمتَي (البعثِ) و(الإرسالِ) يشتركُ في مَلْمَحٍ دلاليٍّ عامٍّ؛ هو التَّوجيهُ، وبينَ الكلمتينِ ملامحُ دلاليَّةٌ فارقةٌ؛ هي أنَّ البعثَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ التَّنبيهِ والإيقاظِ والإثارةِ، والإرسالَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ الرِّفْقِ والرَّحمةِ إلا في المواضعِ التي جاءَ مركَّبًا فيها معَ حرفِ الاستعلاءِ (على)؛ نحوُ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ [الفيل: 3][2].

اللُّبْثُ والمُكْثُ والإقامةُ:

اللُّبْثُ: الإقامةُ بالمكانِ، يقالُ: لَبِثَ يَلْبَثُ فهو لابِثٌ ولَبِثٌ لُبْثًا، وقيلَ: اللُّبْثُ: الإقامةُ الطَّويلةُ، فهي أخصُّ مِنَ الإقامةِ؛ فكلُّ لُبْثٍ إقامةٌ، وليسَ كلُّ إقامةٍ لُبْثًا[3].

والمكثُ: ثباتٌ وتوقُّفٌ معَ انتظارٍ[4]؛ كما في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: 22][5].

اللُّبثُ يقترنُ بطولِ الزَّمنِ، والمُكْثُ يقترنُ بالانتظارِ، والإقامةُ لا يُشترطُ فيها ذلكَ

الرِّفْقُ واللُّطفُ واللِّينُ:

الرِّفقُ يدلُّ على موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عُنْفٍ، فالرِّفقُ: خلافُ العُنفِ، ويُشتقُّ منهُ كلُّ شيءٍ يدعو إلى راحةٍ وموافقةٍ[6].

واللُّطْفُ يدلُّ على رِفْقٍ في العملِ، ويدلُّ على صِغَرٍ في الشَّيءِ[7].

واللِّينُ: ضدُّ الخُشونةِ، ويقالُ: هو في ليانٍ مِنْ عيشٍ، أي: نعمةٍ[8].

الرِّفقُ فيهِ موافقةٌ ومقاربةٌ، واللُّطفُ هو الرِّفقُ في العملِ، واللِّينُ ضدُّ الخُشونةِ

(1) معجم الفروق اللغوية، ص: 103.
(2) محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 136 - 137.
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (لبث).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مكث).
(5) الراغب، المفردات: (مكث).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رفق).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لطف).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لين).

العلمُ والشُّعورُ:

قيلَ في الفرقِ بينَ العلمِ والشُّعورِ: إنَّ العلمَ هو اعتقادُ الشَّيءِ على ما هو بهِ على سبيلِ الثِّقةِ، والشُّعورَ هو ابتداءُ العلمِ بالشَّيءِ مِنْ جهةِ المشاعرِ؛ وهي الحواسُّ، ولذلكَ لا يوصَفُ تعالى بأَنَّهُ شاعرٌ، ولا بأَنَّهُ يَشعُرُ، وإنَّما يوصَفُ بأَنَّهُ عالمٌ، ويعلمُ، وقيلَ: إنَّ الشُّعورَ هو إدراكُ ما دقَّ للُطْفِ الحسِّ، مأخوذٌ مِنَ الشَّعَرِ لدِقَّتِهِ[1].

الشُّعورُ ابتداءُ العلمِ مِنْ جهةِ الحواسِّ، والعلمُ اعتقادُ الشَّيءِ على سبيلِ الثِّقةِ

(1) معجم الفروق اللغوية، ص: 372 - 374.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»